محمد بودية

أستاذ مساعد قسم – أ –

قسم الآداب واللّغة العربية

كلّية الآداب واللّغات

جامعة محمّد خيضر – بسكرة –

محاضرات في علم المفردات

لطلبة السّنة الثّالثة. تخصّص: لسانيات عامّة.

المحاضرة الأولى: علم المفردات– مفهومه وموضوعه–

تمهيد:

نالت الكلمة – بوصفها وحدة لغويّة تحمل معنى– اهتمامًا كبيرًا من اللّغويّين؛ قديمًا وحديثًا. حيث قاموا بدراستها، من جوانب لغويّة عدّة؛ شملت هذه الدّراسة الشّكل والبناء الصّوتي للكلمة، وكذلك البناء الصّرفي والتّركيبي. كما ارتبطت دراساتها بالمعنى والسّياقات اللّغويّة وغير اللّغويّة لها. ولذلك فإنّ دراسة الكلمة في بدايتها؛ لم تكن دراسة مستقلّة بذاتها، بل كانت تُدرس ضمن علوم لغويّة متعدّدة ومتنوّعة؛ أهمّ هذه العلوم النّحو والبلاغة والصّرف وفقه اللّغة.

غير أنّه مع استقلاليّة أغلب العلوم اللّغويّة بموضوعاتها صار للكلمة أو المفردة علمًا خاصّا بها؛ سُمّي بعلم المفردات. فما هو هذا العلم وعلى ماذا يركّز في دراسته؟

1- مفهوم علم المفردات:

تكاد تتّفق أغلب تعاريف علم المفردات، على أنّ محور هذا العلم وجوهره ومادّته الأساس؛ هي الكلمة أو المفردة. ولذلك فإنّ هذا العلم يختلف عن العلوم اللّغويّة الأخرى التي درست الكلمة؛ اختلافًا من حيث أساس الدّراسة وفروعها. أي أنّ الكلمة في العلوم اللّغويّة الأخرى؛ هي فرعٌ وجزء من

الدّراسة، أو هي مكوّن من مكوّنات الدّراسة. أمّا الكلمة أو المفردة في علم المفردات؛ فهي أساس وجوهر ومركز الدّراسة، وكلّ ما يتعلّق بها، أثناء الدّراسة؛ هو فرع أو جزء مرتبط ومتعلّق بها.

ويمكن أن نستجلي مفهوم علم المفردات؛ من قول **حلمي خليل**، في كتابه: **الكلمة دراسة لغويّة معجمية**. حيث حدّد معالم هذا العلم بقوله: " وأمّا علم المفردات vocabulary فهو علم يعترف ضمنًا بالوجود المستقلّ والمتميّز للكلمة، إلاّ أنّ هذا المصطلح قد استقرّ في علم اللّغة للدّلالة على عدد من الموضوعات، كلّها تتّصل بالمفردات وطرق دراستها. فهو يدلّ على:

1- حصيلة المفردات التي يتصرّف فيها المتكلّم أو الكاتب والشّاعر.

2- مقدار الثّروة اللّفظيّة في لغة معيّنة.

3- عدد الكلمات المستعملة في لغة معيّنة.

4- مجموعة المصطلحات التي تُستعمل في دائرة علميّة أو فنّية محدّدة.

5- إحصاء ومقارنة الكلمات المستعملة في عدّة لغات مختلفة، طبقا لاحتياجات المتكلّمين بها، وأنواع المعاجم المستعملة في كلّ لغة.

وغالبًا ما يستعمل هذا العلم الإحصاء اللّغوي كوسيلة من وسائله. "[1]

وانطلاقًا من هذا؛ فإنّ الكلمة لها أوجه متعدّدة؛ نظرًا لارتباطها بالوحدات اللّغويّة واللسانية الأخرى (الوحدات الصّوتية، الصرفية، التّركيبيّة، الدّلاليّة، المعجميّة..)، ولأنّ الكلمة قد تكون- أيضا- مصطلحًا يُصطلح بها على مفهوم علميّ معيّن. وفي هذه الحالة يكون للكلمة؛ محمول دلاليّ وقصديّ خاصّ.

ولذلك فإنّ ما يتميّز به علم المفردات؛ هو أنّه يدرس الكلمة بمنهج علميّ مجرّد؛ يجعل هذه الكلمة وحدة لغويّة، يمكن أن تستقلّ بذاتها أثناء الدّراسة. ذلك أنّ علماء اللّغة المحدثين، لم يقتنعوا بالمفهوم والتصوّر العام للكلمة، والمتداول عند الكثير من النّاس أو الباحثين " وإنّما نظروا إليها من وجهة النّظر العلميّة المجرّدة، ومن ثمّ اختلفت نظرتهم للكلمة عن نظرة علماء فقه اللّغة، بل عن نظرة النّاس جميعًا، لأنّهم وجّهوا دراستهم للّغة المنطوقة دون اللّغة المكتوبة . ولذلك لم يُسلّموا بادئ ذي بدء بفكرة الكيان المستقلّ للكلمة، ورأوا أنّ للكلمة جوانب متعدّدة يمكن النظر إليها. فمن الجائز النّظر إليها على

[1] - حلمي خليل، الكلمة دراسة لغويّة معجميّة، دار المعرفة الجامعيّة، 1998، ص100.

أنّها سلسلة من الأصوات أو على أنّها عنصر نحوي، أو وحدة من وحدات المعنى، وحينئذ تبرز مشكلة استقلال الكلمة في صور مختلفة، وذلك تبعًا للحالة الخاصّة التي تكون عليها."[2]

2- موضوع علم المفردات:

من التّعاريف السّابقة لعلم المفردات؛ يتّضح أنّ الموضوع الأساس لعلم المفردات؛ هو الكلمة أو اللّفظة أو المفردة. وهذه الكلمة أو المفردة لها وجهان لا يمكن الفصل بينهما، إلاّ أثناء الدّراسة، أو في حيّزها.

الوجه الأوّل هو وجه البناء الصّوتي للكلمة، أو الوجه الشّكلي. والوجه الثّاني هو وجه المعنى أو الوجه الدّلالي. وفي هذا يقول **إبراهيم أنيس** في كتابه **دلالة الألفاظ**: " أداة الدّلالة هي اللّفظ أو الكلمة.....فإذا ربطت هذه الأصوات المنطوق بها وما يمكن أن تدلّ عليه من معنى، تكوّنت الكلمة"[3].

وهذا يقودنا إلى أنّ موضوع دراسة الكلمة – والذي هو موضوع علم المفردات- يجب أن يشمل الوجهين أو الجانبين، جانب الشّكل، أو البناء الصّوتي أو الحرفي للكلمة، وجانب الدّلالة أو المعنى. كما يشمل العلاقة بينهما؛ ذلك أنّ التّغيير في شكل الكلمة أو بنائها الصّوتي، قد يؤدّي إلى التّغيير في دلالتها أو معناها، أو إضافة معنى جديد، وقد لا يكون ذلك. وهذا خاضع لنظام اللّغة ذاتها.

كما أنّ الكلمة قد يكثر استعمالها وتداولها، وقد يقلّ ذلك، ومن هذا المنطلق والمعيار، قُسّمت إلى قسمين:

1- المفردات النّشطة Active vocabulary

2- المفردات الخاملة Passive vocabulary[4]

وما يُميّز علم المفردات أنّه يمكن أن يشترك في موضوعه مع موضوعات علوم لغويّة أخرى، وبالأخصّ علم الدّلالة وعلم المعاجم، وعلم الصّرف، وعلم الأصوات الوظيفي. فالسّياق والمعنى وتغيّراته، والزّيادات التي تلحق الكلمة، أو المحذوفات منها، والوظائف الدّلالية المتنوّعة؛ هي موضوعات مشتركة بين علم المفردات وهذه العلوم.

---

[2] - المرجع السّابق، ص 16.

[3] - إبراهيم أنيس، دلالة الألفاظ، مكتبة الأنجلو المصرية، ط2، 1976، ص 38.

[4] – حلمي خليل، الكلمة دراسة لغويّة معجميّة، ص 101.